

## سُورَةُ الْفَتْحِ

(ابن إسحاق) عن الزهري عن عروة عن المسرور ومروان (قالا) نزلت سورة الفتح بين مكة والمدينة في شأن الحديبية من أولها إلى آخرها (م).

(إسماعيل) ابن أبي أويس حدثني مجمع بن يعقوب عن أبيه سمعت مجمع بن جارية يقول أقبلنا مع رسول الله من الحديبية حتى بلغ كراع الغميم فإذا الناس يرسمون نحو رسول الله فقال بعض الناس لبعض ما للناس قالوا أوحى إلى رسول الله فحركنا حتى وجدنا رسول الله عند كراع الغميم واقفاً فلما اجتمع عليه الناس قرأ عليهم: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾<sup>(1)</sup> فقال بعض الناس أو فتح هو قال والذي نفسي بيده أنه لفتح (م).

(قلت) لم يرو مسلم لمجمع شيئاً ولا لأبيه وهما<sup>(2)</sup> ثقتان.

(حرمي) بن عمارة ثنا شعبة عن قتادة عن أنس في قوله: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ﴾ قال فتح خيبر ﴿لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ﴾<sup>(3)</sup> فقالوا يا رسول الله هنيئاً لك فما لنا فأنزل الله ﴿يَدْخُلُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ﴾<sup>(4)</sup> الآية (خ م) وأخرج (م) أوله.

(1) الفتح: 1.

(2) انظر كتاب الفقات لابن حبان 498/7..

(3) الفتح: 2.

(4) الفتح: 5.

(الحكم) بن عبد الملك عن قتادة عن أنس قال لما رجعنا من الحديبية وأصحاب محمد قد خالطوا الحزن والكآبة حيث ذبحوا هديهم في أمكنتهم فقال رسول الله: «أنزلت علي آية هي أحب إلي من الدنيا جميعاً ثلاثاً» قلنا ما هي يا رسول الله فقراً: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ﴾ الآيتين قلنا هنيئاً لك فما لنا فقراً ﴿لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ الآية فلما أتينا خيبر فأبصروا خميس رسول الله يعني جيشه أهدروا هاربين إلى الحصن فقال رسول الله: «خربت خيبر إنا إذ نزلنا ساحة قوم» ﴿فَمَاءَ صَبَاحِ النَّذِيرِينَ﴾<sup>(5)</sup> قلت الحكم<sup>(6)</sup> ضعيف أخرجه استشهاداً.

(سفيان) عن سلمة بن كهيل عن ابن الأحوص عن علي (هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين)<sup>(7)</sup> قال السكينة لها وجه كوجه الإنسان ثم هي بعد ربح هفاقة. صحيح.

(بقية) حدثني مبشر بن عبيد عن الحجاج بن أرطاة عن عكرمة عن ابن عباس في قوله: ﴿وَتُقَرَّرُوهُ﴾<sup>(8)</sup> قال الضرب بين يديه بالسيف. صحيح قلت: قال أحمد: مبشر بن<sup>(9)</sup> عبيد، كان يضع الحديث.

(الحسين) بن واقد حدثني ثابت البناني عن عبد الله بن مغفل قال كنا مع رسول الله بالحديبية في أصل الشجرة التي قال الله في القرآن وكان غصن منها على ظهر رسول الله فرفعته عن ظهره وعلي وسهيل بن عمرو جالسان بين يديه فقال لعلي اكتب فذكر من الحديث أسطراً مخرجة في الكتابين من ذكر سهيل قال عبد الله بن مغفل فبينما نحن كذلك إذ خرج علينا ثلاثون شاباً

(5) الصافات: 177.

(6) التلخيص: 460/2.

(7) انظر الميزان: 576/1.

(8) الفتح: 9.

(9) انظر الميزان: 433/3.

عليهم السلاح فثاروا في وجوهنا فدعا عليهم النبي فأخذ الله بأبصارهم فقمنا إليهم فأخذناهم فقال لهم رسول الله هل جئتم في عهد أحداً وهل جعل لكم أحد أماناً فقالوا اللهم لا فخلى سبيلهم فأنزل إليه ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾<sup>(10)</sup> (خ م) إذ لا يبعد سماع ثابت من ابن مغفل قد اتفقا على إخراج معاوية بن قرة وحميد بن هلال عن ابن مغفل وثابت أسن منهما.

(سفيان) عن سلمة بن كهيل عن عباية بن ربيع عن علي ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى﴾<sup>(11)(12)</sup> قال لا إله إلا الله، والله أكبر (خ م).

(الأعمش) عن خثيمة قال قرأ رجل على عبد الله سورة الفتح فلما بلغ ﴿كَرَّعَ زَرْعَ أَخْرَجَ سَطَكُهُ فَتَازَرُوْهُ فَاسْتَقْلَطَ فَاَسْتَوَى عَلَى سُوْقِهِ يُعْجِبُ الزَّرْعَ لِيَغِيْظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾<sup>(13)</sup> قال ليغيظ الله بالنبي وبأصحابه الكفار ثم قال أنتم الزرع وقد دنا حصاده (خ م).

(هشام) عن أبيه عن عائشة ﴿لِيَغِيْظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ قالت أصحاب رسول الله امرؤ بالاستغفار لهم فسبوهم (خ م)<sup>(14)</sup>.

(10) الفتح: 24.

(11) الفتح: 26.

(12) التلخيص: 461 / 2.

(13) الفتح: 29.

(14) التلخيص: 462 / 2.

## تبادل التهاني عند حصول ما يفرح

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [1/48]

(15) وقال يونس بن بكير، عن عبد الرحمن المسعودي، عن جامع بن شداد، عن عبد الرحمن بن أبي علقمة، عن أبي مسعود، قال: لما أقبل رسول الله ﷺ من الحديبية، جعلت ناقته تثقل، فتقدمنا، فأنزل عليه: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ وقال شعبة، عن قتادة، عن أنس: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ قال: فتح الحديبية، فقال رجل: هنيئاً مريئاً يا رسول الله هذا لك فما لنا؟ فأنزلت ﴿يُنزِلُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي﴾ (16).

## تفسير اهل البهتان لآية من سورة الفتح

﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ﴾ [2/48]

(17) والمنكرون لذلك يقولون في تحريف القرآن ما هو من جنس قول اهل البهتان، كقولهم في: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ﴾ [الفتح: 2] أي ذنب آدم! ﴿وَمَا تَأَخَّرَ﴾ ذنب أمتك! فأما آدم فنبي كريم، فوقعوا فيما فرؤا منه، فنفوا الذنب عن نبينا والصقوه بآدم. ثم إن آدم تاب الله عليه قبل أن يهبط/ إلى الأرض، وقبل أن يولد نوح وإبراهيم، والله يقول: ﴿وَلَا نُزِرْ وَأَزْرَةٌ وَدُرٌّ أُخْرَى﴾ [الأنعام: 164، الإسراء: 15، فاطر: 18، الزمر: 7، النجم: 38] فكيف يضاف ذنب هذا إلى ذنب هذا؟ ثم إن هذه الآية لما نزلت قال أصحابه: يا رسول الله، هذا لك، فما لنا؟ فأنزل الله: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيْمَانِهِمْ﴾ [الفتح: 4].

(15) تاريخ الإسلام: 396/2.

(16) انظر تفسير الطبري: 70/26، وابن كثير: 326/7، والحديث صحيح، أخرجه البخاري انظره مع الفتح: 450/7.

(17) المتقى من منهاج السنة النبوية، ص85.

تفسير ضعيف لمعنى (السكينة)

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [4/48]

(18) وقال أبو حذيفة النهدي: ثنا سفيان، عن سلمة بن كهيل، عن أبي الأحوص، عن علي ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ قال: السكينة لها وجه كوجه الإنسان، ثم هي بعد ربح هفافة.

وقال ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد قال: السكينة كهيئة الريح، لها رأس كراس المعرة وجناحات.

إشارة إلى معارك لم تحدث إلا بعد وفاة النبي

﴿سَدُّعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ [16/48]

(19) وقال هشيم: «أنا أبو بشر، عن سعيد بن جبير، وعكرمة: ﴿سَدُّعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ قالوا: هو إذن يوم حُنين رواه سعيد بن منصور في سننه. وقال بندار: ثنا غندر، ثنا شعبة، عن هشيم، نذكرة، وزاد هوازن وبنو حنيفة.

وقال عبد الله بن صالح، عن معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، في قوله: ﴿أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾، قال: فارس<sup>(20)</sup>.

﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ﴾ [16/48]

(21) (وأما آية: ﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ﴾ [الفتح: 16] فقد استدلل بها على خلافة

(18) تاريخ الإسلام: 399/2.

(19) تاريخ الإسلام: 398/2.

(20) انظر تفسير الطبري: 83/26، وابن أبي حاتم: 3300/10، وابن الجوزي: 7/

431، وابن كثير: 338/7، والسيوطي: 520/7.

(21) المستقى من منهاج السنة النبوية، ص 559.

الصديق الشافعي والأشعري وابن حزم، واحتجوا بأن الله قال: ﴿فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَدْرَكَ لِيُخْرِجَ قَوْمًا مِمَّنْ نَزَلْنَا مِنْكُمْ أُولَئِكَ فَادْعُهُمْ إِلَى اللَّهِ رِجَالًا لِلَّهِ يُجِيبُونَ﴾ [التوبة: 83] قالوا: فأمر الله نبيه في هؤلاء بهذا فعلم أن الداعي لهم إلى القتال ليس هو، فوجب أن يكون من بعده، وليس إلا أبا بكر أو عمر دعوا إلى قتال فارس والروم وغيرهم أو يسلمون، وهؤلاء جعلوا المذكورين في الفتح هم المخاطبين في براءة، ومن هنا صار في الحجة نفراً، والفتح نزلت في قصة الحديدية باتفاق. ويبحث هنا شيخنا وطول ودقق، إلى أن قال في الآية: إنها لا تتناول القتال مع علي قطعاً، لأن الله قال: ﴿تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسَلِّمُونَ﴾ والذين حاربهم علي كانوا مسلمين بنص القرآن. قال الله: ﴿وَلَا تَقَاتِلُوا الَّذِينَ آمَنُوا بِمَا أُوتُوا فَاصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات: 9]، فوصفهم بالإيمان مع الاقتتال والبغي، وأخبر أنهم أخوة. وقال عليه السلام في الحسن/«وسيلح الله بين فئتين من المسلمين» فجرى كذلك ودلّ عليه أن ما فعله السيد الحسن كان أرضى الله من القتال.

الله يأمر بموالاة الصحابة والرافضة تتبرا منهم

﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [18/48]

(22) وقال تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾. أخبر سبحانه برضاه عنهم وبأنه علم ما في قلوبهم وكانوا ألفاً وأربعمائة فهم أعيان من بايع أبا بكر، وقال عليه السلام [فيما ثبت عنه في صحيح مسلم من حديث جابر بن عبد الله]: «لا يدخل أحد ممن بايع تحت الشجرة النار»<sup>(23)</sup>

(22) المتفق من منهاج السنة النبوية، ص 65.

(23) أخرجه مسلم في صحيحه: 4/1942، وانظر شرح السنة النبوية: 14/193.

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى الَّذِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْمُسْرَةِ﴾ [التوبة: 117] يعني غزوة تبوك، وقال: ﴿إِنَّا وَرَدْنَاكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ [المائدة: 55]. وقال: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: 71] فأمر بموالاتهم، والرافضة تبرأ منهم. وقد قال بعض الجهلة: إن قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ [المائدة: 55] نزلت في علي رضي الله عنه، وذكر في ذلك خبراً موضوعاً، وأنه تصدق بخاتمة في الصلاة فنزلت قيل: لا، لأن الآية صيغة جمع وعلي واحد. ومن ذلك أن الواو ليست في ﴿وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ وأو الحال، إذ لو كان كذلك لتعين بالبدء إعطاء الزكاة في الصلاة حال الركوع).

### قصة صلح الحديبية

﴿هُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ﴾ [24/48 - 26]

(24) في قصة الحديبية لا يسمعون بعير لقريش خرجت إلى الشام إلا اعترضوا لها فقتلوهم وأخذوا أموالهم. فأرسلت قريش إلى النبي ﷺ تناشده الله والرحم لما أرسل إليهم، فمن أتاه منهم فهو آمن. فأرسل النبي ﷺ إليهم فأنزل ﴿هُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ﴾ حتى بلغ (حمية الجاهلية) وكانت حميتهم أنهم لم يقرأوا بنبي الله ولم يقرأوا بسم الله الرحمن الرحيم، وحالوا بينهم وبين الموت، أخرجه البخاري. عن المسندي، عن عبد الرزاق، عن معمر، بطوله (25).

(24) تاريخ الإسلام: 374/2.

(25) انظر تفسير الطبري: 93/26، وابن أبي حاتم: 3300/10، وابن الجوزي: 7/441، وابن كثير: 342/7، والسيوطي: 527/7، والقصة أخرجه البخاري في صحيحه، انظره مع الفتح: 329/5.

﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ﴾ [27/48]

(26) وقال ورقاء عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قال: أُرِي رسول الله ﷺ وهو بالحديبية أن يدخل مكة هو وأصحابه آمنين محلقين رؤوسهم ومقصرين فقالوا له حين نحر بالحديبية: أين رؤياك يا رسول الله؟ فأنزل الله: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ﴾ إلى قوله: ﴿فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْمًا قَرِيبًا﴾ يعني النحر بالحديبية ثم رجعوا ففتحوا خيبر، فكان تصديق رؤياه في السنة المقبلة<sup>(27)</sup>.

الرسول إذا بكى لا تدمع عينه

﴿رَحْمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [29/48]

(28) محمد بن عمرو: عن أبيه، عن جده، عن عائشة قالت: حضر رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر، سعد بن معاذ، وهو يموت في القبة التي ضربها عليه رسول الله ﷺ في المسجد. قالت: والذي نفس محمد بيده إني لأعرف بكاء أبي بكر من بكاء عمر، وإني لفي حجرتي، فكان كما قال الله: ﴿رَحْمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ قال علقمة فقلت: أي أمه! كيف كان رسول الله ﷺ يصنع؟ قالت: كانت لا تدمع عينه على أحد، ولكنه كان إذا وجد فإنما هو آخذ بلحيته<sup>(29)</sup>.

(26) تاريخ الإسلام: 398/2.

(27) انظر تفسير الطبري: 107/26، وابن كثير: 356/7، والسيوطي: 538/7،

والحديث أخرجه البخاري انظر مع الفتح: 499/7.

(28) سير أعلام النبلاء: 285/1 - ترجمة سعد بن معاذ.

(29) انظر تفسير السيوطي: 541/7، وانظر الطبقات الكبرى لابن سعد: 423/3.

المسلم يجمع بين الشدة واللين

﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [29/48]

(30) وكان نبينا ﷺ مبعوثاً بأعدل الأمور وأكملها فهو الضحوك القتل، وهو نبي الرحمة ونبي الملحمة. جل أمته موصوفون بذلك في مثل قوله تعالى: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: 29] وقوله تعالى: ﴿أَذَلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: 54] فكان النبي ﷺ يجمع بين شدة هذا ولين هذا، فيأمر بما هو العدل وهما يطيعانه فتكون أفعالهما على كمال الاستقامة. فلما قبض الله نبيه وصار كل منهما خليفةً على المسلمين خلافة نبوة كان من كمال أبي بكر رضي الله عنه أن يولي الشديداً ويستعين به ليعتدل أمره ويخلط الشدة باللين، فإن مجرد اللين يفسد ومجرد الشدة تفسد، ويكون قد قام مقام النبي ﷺ فكان يستعين باستشارة عمر، وباستنابة خالد ونحو ذلك، وهذا من كماله الذي صار به خليفة رسول الله ﷺ، ولهذا اشتد في قتال أهل الردة شدة برز بها على عمر وغيره، حتى روى أن عمر قال له: يا خليفة رسول الله ﷺ تألف الناس. فقال: علام أتألفهم؟ أعلى حديثه مُفترى أم على شعر مُفترع؟ وقال أنس: خطبنا أبو بكر عقيب وفاة النبي ﷺ ورأنا لكالثعالب، فما زال يشجعنا حتى صرنا كالأسود. وأما عمر رضي الله عنه فكان شديداً في نفسه، فكان من كماله استعانته باللين ليعتدل أمره: فكان يستعين بأبي عبيدة بن الجراح وسعد بن أبي وقاص وأبي عبيد الثقفي والنعمان بن مقرن وسعيد بن عامر وأمثال هؤلاء من أهل الصلاح والزهد الذين هم أعظم زهداً وعبادة من مثل خالد بن الوليد وأمثاله).

(30) المتفق من منهاج السنة النبوية، ص 362.